إرباك قواعد اللعبة في العراق

أحمد سعداوي

عشية الذكرى الأولى لأحداث 7 أكتوبر يبدو أن الاستجابة العراقية لهذه الأحداث المزلزلة للمنطقة وصلت بتناقضاتها إلى أقصاها؛ فبعد أيّام من التهليل والاحتفال بعملية نفّذتها فصائل في «المقاومة الإسلامية في العراق» في الجولان أدّت إلى مقتل جنديين إسرائيليين وجرح 24 آخرين، ها هي الفصائل المسلّحة كلّها تجتمع في هيئة الحشد الشعبي، لتعلن غسل يدها من العملية. ولم يتبنَّها أيٌّ من الفصائل المعروفة، بل ادّعوا أنها ربما تكون من تنفيذ فصيل عراقي مسلّح مجهول، أو أن إسرائيل «فبركت» العملية كلّها من أجل استهداف العراق.!
على الأرجح، تعرف هذه الفصائل جيّداً من نفّذ العملية، ولكنها خضعت مكرهةً لضغط الحكومة العراقية، وللتهديدات الإسرائيلية والأميركية الجديّة... وقد احتفظت الحكومة بحالة من ضبط النفس على مدى العام المنصرم، بكل صفحات المواجهة التي خاضتها إسرائيل مع حركة حماس في قطاع غزّة أولاً ثم مع حزب الله في لبنان، والمناوشات التي بدأت بالتصاعد مع إيران. وعلى الرغم من إعلان الحكومة في أكثر من بيان شَجْبَها للعدوان الإسرائيلي على المدنيين وسقوط الضحايا وتهديم المباني وتشريد المدنيين من بيوتهم ومنازلهم، وأيضاً مشاركة الحكومة في أعمال الإغاثة وتقديم المساعدات الإنسانية، لكنها نأت بنفسها عن أي تعاون يمكن أن يُفهم منه اشتراك العراق في المواجهة الدائرة في المنطقة.
تشكّل الأحزاب الإسلامية الغالبية الساحقة في الجسم الحكومي، والبرلمان الداعم للحكومة، وهذه الأحزاب عبّرت، منفردة، عن تأييدها الجانبين، الفلسطيني واللبناني، في مواجهته مع إسرائيل، كما أنها لم تمانع من اعلان بعض الفصائل المسلّحة نيّتَها الاشتراك المباشر في القتال. وتقدّم القنوات الإعلامية التي تديرها هذه الأحزاب الرواية الفلسطينية واللبنانية لمجريات الحرب، وتحشّد جمهورها السياسي لتبنّي هذه الرواية في الصراع مع إسرائيل. ولكنها تعرف جيداً أنها غير قادرة على تجاوز هذه الحدود، فالعراق أضعف من أن يكون له دور أكبر في هذا الصراع. وعلى الرغم من التأثير الكبير لإيران في الساحة العراقية، سياسياً واقتصادياً وأمنياً، تبقى الغلبة لتأثير الولايات المتحدة، فهو يتحكّم في سماء العراق، ولا تمرّ الواردات النفطية العراقية إلا من خلال القناة الأميركية. كما أنه بالمقارنة بالساحتين، الفلسطينية واللبنانية، وما حدث فيها من اختراقات استخبارية، فإن العراق مستباح استخبارياً من قبل أميركا، وهي قادرة، بصورة أسهل، على تحديد أماكن الأهداف الموجعة للفصائل والجماعات المسلّحة المناوئة لأميركا وإسرائيل. تعي الحكومة العراقية هذا جيداً، وأن الوضع في العراق هشّ جداً، لهذا تحاول ضبط إيقاع الفصائل المسلّحة، ومنعها من خوض مغامرة غير مأمونة العواقب، خصوصاً أن تقارير كشفت أن أميركا ستمنع إسرائيل من توجيه ضربة مباشرة داخل الأراضي العراقية، وأنها هي (أميركا) من ستنفّذ ضربات مماثلة، إن اقتضت الضرورة. تركيبة السلطة في العراق معقّدة، لجهة تداخل الميليشياوي مع الرسمي، وكان هناك نوعٌ من العقد الخفي، يتيح للفصائل الأكثر راديكالية أن تنفّذ ما تريد من عمليات تجاه المعسكرات التي تؤوي متعاقدين أميركيين، كما قاعدة عين الأسد غربي العراق، أو حرير داخل محافظة أربيل في الشمال. ولكن بشرط أن لا تخلّف خسائر مادية أو بشرية، فتنال شيئاً من الضوء الإعلامي، وشيئاً من إعلان الوجود، ولا تضع الحكومة العراقية في موضع الحرج أمام أميركا، التي تُعتبر دولة حليفة للعراق وشريكة معه في أكثر من صعيد.
لكن الزلزال الكاسح الذي خلّفته الصواريخ الإسرائيلية التي تمطر بنيرانها على جوانب المنطقة، وتغتال الشخصيات المؤثرة، وتشرّد المدنيين، أربك قواعد اللعبة الخفية في العراق، خصوصاً مع إدراك أنه على الرغم من حرص أميركا على عدم إحراج الحكومة العراقية، لا تبدو إسرائيل معنية بهذه المطالب، وربما تسعى إلى مزيد من النيران والفوضى في المنطقة، متكئةً في هذا الهدف على تفوّقها التقني والاستخباري، والدعم العسكري غير المحدود من أميركا والغرب عموماً.

تصفية حسابات القرن العشرين

باسل. ف. صالح

بدأت تتكشّف، يوماً بعد يوم، أهداف الحرب المستمرّة التي تشنّها إسرائيل على المنطقة. لقد وصل الأمر في أسبوعين من الغارات والاعتداءات الإسرائيلية على لبنان إلى حقيقة أنّ كمّية «الداتا» والمعلومات التي كان العدو يعمل على تحصيلها، ومتابعتها، وتخزينها، ويحاول اكتشاف أصغر تفاصيلها وأدقّها، سنوات، لا تُقدّر بثمن، فأتاحت له تحديد بنك أهداف واسع جدّاً، وصل في مداه المُتعيّن إلى أمكنة ومستويات تفوق الخيال وتتخطّى غزّة ولبنان واليمن وسورية، هذا من دون احتساب ما قد يُستهدَف في المقبل من أيّام، بل بالكلام عما استُهدِف حتّى اللحظة. ففي لحظات كتابة هذه السطور، كان العدو قد دمّر مجموعةً أهدافٍ لحزب الله، أقل ما يُقال فيها إنّها مميتةٌ، وفي مقدمتها عملية تفجير أجهزة البيجر، وما حقّقته من إصابات في صفوف الحزب، ناهيك عمّا كشفته من كوادرَ وعناصرَ وقياداتٍ كلّفت الحزب عقوداً من العمل التنظيمي والأمني والعسكري لبنائها، ناهيك عن اكتشاف مخازن ومراكز بناها واستخدمها بسرّية تامّة، وهو ما استكملته إسرائيل في اليوم التالي بعملية تفجير الأجهزة اللاسلكية، بالإضافة إلى الغارة التي شنّتها في اليومَين التاليَين على مبنى في ضاحية بيروت الجنوبية، وأدّت إلى اغتيال قيادات الصفّ الأول من نخبة فرقة الرضوان بعد أن استهدفت رأس تلك الفرقة في مرّتَين سابقتَين.
بعد أن كان الجو السائد يرى أنّ الأهداف المباشرة لإسرائيل هي تلك التابعة لحركة حماس وحزب الله حصراً، وأنّ ما عداها كلّه أهدافٌ عفى عليها الزمن، ها نحن اليوم أمام حقيقة أنّ السياقات تتخطّى هذه الفرضية، خصوصاً أنّ العدوّ يستهدف أيضاً من ليس له أيّ صفة مباشرة في هذه الحرب الدائرة، ولا ما سبقها من حروب في آخر عقدَين. لقد راكمت إسرائيل معطيات كثيرة بعضها فوق بعض، باستخدام أبرز الاختراعات التكنولوجيّة وإمكاناتها الهائلة، بالإضافة إلى كمّية الخروق البشرية التي كانت تعمل عليها منذ حرب تمّوز (2006)، ما سمح لأجهزتها وجيشها بوضع رسمٍ أوّليٍّ شاملٍ يكشف تفاصيلَ دقيقةً للخرائط الجغرافية والسياسية في غزّة والضفة ولبنان وسورية والعراق واليمن وصولاً إلى إيران، وللامتداد المكاني كلّه للمحور الذي ينتمون إليه، بما يحويه من أهداف مُؤكَّدة وأخرى محتملة، كما أهداف جديدة وأخرى قديمة، فإن كان لمجموع هذه الخطوات والأهداف والاستهدافات أن تشير إلى أيّ شيء، فهو أنّ ما تريده إسرائيل يتخطّى ما يمكن الكلام عنه واختصاره بجزئية من هنا أو من هناك، أو بإخراج قيادي ما من المعادلة، بل يستبعد حتّى هدفها المُعلَن والقاضي بإعادة المستوطنين إلى شمال الأراضي المحتلّة، فما تريده إسرائيل، وكما هو ظاهر اليوم، يتمثّل بتصفيةٍ مباشرةٍ للامتداد السياسي والمكاني المحتمل أن يُشكّل أيّاً من أنواع الخطر عليها في المقبل من الأيام.
أما اليوم، وقد دخلنا مرحلةَ هجوم العدو البرّي على لبنان، وانفتاح الاحتمالات على مصراعيها، أصبح من الضروري إعادة التفكير في كلّ شيء بناءً على المعطيات المُستجدّة، ابتداءً من العنوان القديم الجديد للحرب والمتمثّل بإعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للشرق الأوسط بعد تصفية ما كان يعوقها في السابق، وفي الحاضر، وما يمكن أن يعوقها في المستقبل. خريطةٌ يتضّح أنّها تحاول تحقيق مجال استفادة العدو وما يخدم مصالحه، ومصالح من خلفه، والذي تُعزِّزه التحليلاتُ كافّة، التي تُظهر محاولاته الشرهة الهادفة إلى احتلال مناطقَ جديدةٍ، ليس في لبنان وحده، بل في سورية، وغيرها من دول متاخمة. تدلّنا المُؤشّرات اليوم على أنّنا أمام حرب تتخطّى في مفاعيلها الاجتياح الإسرائيلي لبيروت عام 1982، وتتخطّى التدمير الممنهج كلّه في غزّة، والعودة إلى ما قبل السابع من أكتوبر (2023)، لا بل تتخطّى فكرة القضاء على «حماس» وحزب الله، وعلى مليشيات إيرانية، لتصل في تداعياتها إلى تخطّي حروب إسرائيل السابقة بأكملها. فما نحن فيه لا يقتصر على تصفية محور يبدأ من غزّة وينتهي في طهران فحسب، بل وبكلام آخر، تصفية حالةٍ دامت ما يقارب قرناً، والعمل لإحداث حالةٍ وتفعيل خريطةٍ أخرى، كانت تنام في الأدراج منذ 1917.

(كاتب لبناني)

الإبادة الجماعية معنىً وحيداً للنصر الإسرائيلي

سمير الزبن

في الحروب الإسرائيلية الكبرى التي غيّرت وجه المنطقة، واجهت إسرائيل فعلياً جيوشَ دولٍ عربية. كانت المرّة الأولى في العام 1948، وهي الحرب التي تأسّست على نتائجها دولة إسرائيل، التي تدّعي أنّها خلال تلك الحرب استطاعت هزيمة الجيوش العربية كلّها التي دخلت فلسطين لمنع قيام دولة إسرائيل ورمي اليهود في البحر. ولادة إسرائيل في ظلّ محيط معادٍ جعل إسرائيل دولةً قائمةً على السلاح. فمنذ ولادتها اعتبرت نفسها دولةً مُهدَّدةً بالإزالة من الأعداء المحيطين بها، لذلك كان التفوّق العسكري، الذي عملت (وتعمل) عليه أساس وجودها في المنطقة. وبقيت طوال العقود التالية لولادة دولتها تعزّز من هذه القوّة. أصابتها انتصاراتها على الجيوش العربية بالعنجهيّة والخيلاء، خاصّةً بعد حرب 1967، التي هزمت فيها جيوشَ ثلاث دول عربية، وغيّرت وجه المنطقة مرّة أخرى باحتلالها ما تبقّى من الأراضي الفلسطينية، وأراضيَ في كلّ من مصر وسورية.
قامت الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على قاعدة هذا التفوّق العسكري، الذي يفترض نقل مكان المعركة إلى أراضي العدو، وحسمها بسرعة. جاءت هذه الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية على خلفية أنّ المخاطر التي ستتعرّض لها إسرائيل ستأتي من جيوش الدول المحيطة، وأنّ إسرائيل لا تتحمّل حروباً طويلة الأجل. لم تغيّر حرب 1973، والإنجازات التي حقّقها جيشا مصر وسورية في بداية الحرب، من هذه العقيدة العسكرية، لأنّ هذه الحرب سرعان ما تحوّلت لصالح إسرائيل، واستخدمت عقيدتها العسكرية ذاتها بمساعدة جسر جوي أميركي للسيطرة على الحرب وعكسها لصالحها، وهذا لم يغيّر ممّا اعتُبر في إسرائيل فشلاً استخباريّاً بعدم معرفة الخطط العسكرية لكلٍّ من مصر وسورية للهجوم على إسرائيل. وسكرة النصر والخيلاء التي أصابت إسرائيل بعد حرب 1967 هي التي جعلت الفشل الاستخباريّ الإسرائيلي ممكناً، بعد أن اعتُبر الجيش الإسرائيلي «الجيشَ الذي لا يُقهَر».
واحدة من الأسس التي بنيت عليها العقيدة العسكرية الإسرائيلية، عدم رؤية حقيقة الصراع في الأرض الفلسطينية، بوصفه صراعاً بين قوات احتلال وشعب مُحتَلّ، بل أصرّت هذه العقيدة على أنّ العدو هو جيوش الدول المحيطة. لذلك لم تغيّر عقيدتها العسكرية عندما بدأت تواجه مخاطرَ الهجمات المسلّحة المنخفضة، مع بدء العمل الفلسطيني المسلّح، أي إنّها لم تعد تواجه جيوشاً كبيرة، هزيمتها في ميدان المعركة تجعلها توقّع اتفاقات وقف إطلاق النار على الأقلّ، إذا لم نقل اتفاقات استسلام. أمّا القوى التي تستخدم الصراعات المنخفضة، فهي لا تخوض حروبها على قاعدة الهزيمة والنصر في ميدان المعركة، لأنّه لا يوجد معركة بالمعنى التقليدي (جيشان يتواجهان في ميدان معركة)، بل هي مجموعات مسلّحة، تحاول إيقاع الخسائر الصغيرة والمتراكمة بالعدو، وصولاً إلى إنهاكه، وليس لدى هذه القوى أيّ أوهام بأنّ لها القدرة على هزيمة جيش العدو في معركة مباشرة ومفتوحة، فهي تعرف أنّ ميزان القوى مختلّ أصلاً لصالح هذا العدو، ويستطيع أن يسحقها في ميدان الحرب التقليدية، لذلك تعتمد على ميّزات حرب العصابات التي تتجنب المواجهة المباشرة، التي تعمل من خلال المواجهات السريعة والحركة السريعة للمجموعات الخفيفة على ضرب العدو والفرار، والتفوّق على جيش العدو المجهّز بالمعدّات والأسلحة الثقيلة بسرعة الحركة، والمناورة أفضل بالأسلحة الخفيفة. لكن ما يمنح القوّة لهذه الجماعات، أنّها تبني عقيدتها على أساس الحقوق الوطنية، وليس على أساس القوّة العسكرية، وهذا النوع من الصراعات لا يُحَلّ بالقوة العسكرية، بمعنى لو استطاعت إسرائيل إبادة قوّة مقاومة للاحتلال من دون حلّ أساس المشكلة، فإنّه سيُولد من رحم المشكلة قوّةٌ أخرى تتحدّى هذه الآلة العسكرية، ما دام أنّ أساس الصراع قائم. تدرك إسرائيل المعضلة التي تواجهها، فهي تريد الانتصار المرّة بعد الأخرى من دون الذهاب إلى أيّ حلّ سياسي، وبذلك عليها أن تجد حلولاً عسكريةً لمشكلات سياسية، وهو ما يعني إدارة الصراع، والحصول على مكاسبَ صغيرةٍ ومتراكمةٍ لتفكيك أساس المشكلة، وهو ما تفشل به المرّة بعد الأخرى. عدم الاعتراف بأساس المشكلة، والعنجهية والصلف بالتفوق على المحيط كلّه، جعل إسرائيل تفشل مرّةً جديدةً في توقّع المخاطر، وهذا ما حدث في هجوم «طوفان الأقصى» الذي لم تتوقّعه إسرائيل، وكشف ثغراتٍ واسعةً في البيئة الأمنية الإسرائيلية المتفوّقة. وبعد ذلك لم تعد إسرائيل قادرةً على تجاهل هذه المخاطر، واعتبرت ما جرى محاولةً لإبادة إسرائيل. وهو ما جعل العديد من قياداتها تنزع عن الفلسطينيين إنسانيتهم؛ «وحوش بشرية». وبعد هذا الحدث لم يعد النصر الإسرائيلي ممكناً، ليس لأنّها غير قادرة على القضاء على حركة حماس فحسب، وهو هدف غير عسكري، بل حتّى بالقضاء عليها لن تحصل على النصر الذي تريده باختفاء الفلسطينيين. فكانت حربها على قطاع غزّة حرب إبادة جماعية، فأصبح اغتيال أحد قياديّي «حماس» ممكناً بين المدنيين، فلم يتورّع الجيش الإسرائيل عن قصف خيم النازحين، بحُجَّة أنّ هناك قياديّاً بينهم. وأصبحت ذريعة أنّ «حماس» تستخدم المدنيين دروعاً بشريةً مبرّراً لإبادة جماعية للمدنيين. تقول الإحصاءات الفلسطينية إنّه منذ العام 1948، حتّى العام 2020، سقط من العرب والفلسطينيين في الجبهات كلّها، من عسكريين ومدنيين، حوالي مائة ألف قتيل. واليوم في حرب الإبادة، التي تشنّها إسرائيل على قطاع غزّة، سقط حتّى كتابة هذه السطور 41615 شهيداً، ولا أحدَ يعرف عدد الذين تحت أنقاض المباني التي دمّرتها القذائف والصواريخ الإسرائيلية في القطاع. لم تنتهِ الحرب، ولم ينتهِ عدّ الضحايا، ويبدو أنّ إسرائيل تسعى لقتل أكثر ممّن قتلتهم خلال تاريخ الصراع، قبل أن تعلن نصرها على جثثهم. فما زالت تواصل حربها على قطاع غزّة وعدد الضحايا في ازدياد. حتّى العمليات التي اعتبرتها إسرائيل عمليات اغتيال (مثل محاولة اغتيال محمّد الضيف في 13 يوليو/تمّوز في مواصي خانيونس) أدّت إلى مقتل ما يزيد عن 90 فلسطينياً، وجرح 300 آخرين. كما أنّ إسرائيل في اغتيالها أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، استخدمت باعترافها 80 قنبلةً تزن واحدتها ألف كيلوغرام؛ أي 80 ألف كيلوغرام من القذائف الخارقة الشديدة الانفجار، التي سوَّت بالأرض أربعةَ مبانٍ يعيش فيها مئات السكّان، هل يمكنُ اعتبار هذه عمليات اغتيال أم عمليات إبادة جماعية؟
لقد باتت واضحةً عمليات الإبادة الجماعية التي تقوم بها إسرائيل أمام أنظار العالم الذي لا يريد أن يفعل شيئاً، في مواجهة جرائم الإبادة الجماعية التي تمارسها إسرائيل بذريعة «الدفاع عن الذات»، التي تعني في إسرائيل إبادة الآخر. والعالم لا يريد أن يرى ما يفقأ العين.

(كاتب فلسطيني في استوكهولم)

> تريد إسرائيل الانتصار من دون الذهاب إلى أيّ حلّ سياسي فتبحث عن حلولٍ عسكريةٍ لمشكلات سياسيةٍ

كاريكاتير عماد حجاج

ماذا يريد نتنياهو؟

محمد أبو رمان

بالغ محللون عرب وغربيون عديدون في ربط ما ترتكبه إسرائيل من حرب إبادة في غزّة، منذ «طوفان الأقصى» (7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023) بأجندت نتنياهو الشخصية ومحاولته الإفلات من تهم الفساد في القضاء الإسرائيلي فقط، فذلك، وإن كان صحيحاً جزئياً، يتجاوز عن مسألة أكثر أهمية وتتمثّل بأجندة الرجل السياسية ومعه التيار العام في المجتمع الإسرائيلي، وحجم التحوّلات في الوسط السياسي هناك، خلال العقدين الأخيرين، وما تبع ذلك من تغيّرات جوهرية في نظرية «الأمن الإسرائيلي».
بدأت تبرز، منذ ما يقارب عشرة أعوام، نظرياتٌ جديدة لدى القادة الإسرائيليين، تتمثّل بتغير مصادر التهديد المحيطة والداخلية وتغيّر أولويات إسرائيل، داخلياً وخارجياً، فعلى الصعيد الداخلي، باتت قضية «هوية الدولة اليهودية» والمسألة الديمغرافية تمثّل الأولوية، وعادت الأفكار عن التخلص من الكتلة السكانية الفلسطينية تهيمن على المقاربات الاستراتيجية، ما انعكس على صعيد التوسع الكبير في الاستيطان وفي تهويد القدس وفي التأكيد على الهوية الدينية- العرقية للدولة، وحسم ملف إنهاء مشروع الدولة الفلسطينية كليّاً، حتى السلطة الفلسطينية في أضعف حالاتها لم تعد مقبولة لدى التيار السياسي العام في الكيان، وأصبح التفكير في سيناريوهات عديدة أخرى، جميعها تؤدّي إلى محاولة التخلص من الفلسطينيين، سواء في الأراضي المحتلة 48 أو الـ67.
تزاوج ذلك مع تغير مصادر التهديد؛ في المنظور الإسرائيلي في الخارج، إذ لم تعد الدول أو الأنظمة العربية الثورية هي التحدّي الحقيقي للأمن الإسرائيلي، منذ الربيع العربي 2011، مع انتهاء أي تهديداتٍ محتملة من الحكم العراقي أو الحكم السوري أو مصر، بل بدأ المنظّرون الإسرائيليون يتحدّثون عن خطر النفوذ الإيراني والمنظّمات ما دون الدول التي تنتشر حول إسرائيل، والإسلام السياسي بألوانه المختلفة والمتعدّدة.
ومن هنا، جاءت التساؤلات في كيفية ضمان الحدود الدنيا لأمن إسرائيل في إطار هذه البيئة الإقليمية المتغيرة، وبدأ التركيز بدرجة أكبر على ما اعتبره نتنياهو مفتاح المستقبل لإسرائيل، وهو قطاع التكنولوجيا، بخاصة العسكرية والتجسّسية، بما يضمن لإسرائيل التفوق التكنولوجي الكبير، الذي يمنح إسرائيل القدرة على التخلص مسبقاً من مصادر التهديد، وتحوّل الاهتمام بدرجة أكبر إلى البرنامج النووي الإيراني، الذي بات بمثابة هدفٍ رئيس لعقيدة نتنياهو الأمنية ومع المؤسّسة العسكرية والأمنية الإسرائيلية.
شكلت مرحلة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب (بعد مرحلة أوباما الذي عقد اتفاقية مع إيران) فرصة ذهبية لنتنياهو من خلال محاولة إدماج إسرائيل في المنطقة، عبر ما سمّي مشروع «السلام الإقليمي»، وإقامة حلف دفاعي عربي- إسرائيلي في مواجهة «التهديد الجديد»، مع تجديد الحلم الداخلي بإنهاء مشروع الدولة الفلسطينية والسيطرة على القدس، وتصفية ما تبقّى من مقومات الدولة الفلسطينية، وهو المشروع الذي كان يسير بصورة متسارعة، حتى جاءت عملية طوفان الأقصى، التي بقدر ما شكّلت صدمة وهزّة كبيرة لنتنياهو والمشروع الأمني الإسرائيلي الجديد، بقدر ما دفع نتنياهو إلى تطوير أفكاره والوصول إلى رؤية جديدة، عنوانها «تغيير وجه الشرق الأوسط»، عبر تحطيم القوى الصاعدة والتحكّم بقواعد اللعبة الإقليمية، واستعادة عقيدة «الردع الإسرائيلية» ليس فقط على الصعيد المحلي، بل حتى إقليمياً، وهو ما لم يخفه نتنياهو أو بعض وزرائه من عرض خرائط جديدة لإسرائيل وللمنطقة، تقوم على عقيدة التفوّق الإسرائيلي في المنطقة.
أغرب ما طرحه الرجل، ويعكس نظريته المتعجرفة الجديدة، أنّه يريد استسلاماً من دول المنطقة شبيهاً بما حدث مع ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أعلنتا الاستسلام، وقام الحلفاء بتغيير مناهج التربية والتعليم وبدأ نظام دولي جديد، وهو ما صرّح به في الأمم المتحدة بكل غرور، متجاهلاً الفروق التاريخية والسياسية والحضارية الهائلة، بين الحالتين.
هل هنالك خيار آخر في الوسط الإسرائيلي؟ هل يمكن أن يقف أحد هناك ويقول إن هذه العقيدة الأمنية لا يمكن تحقيقها، وبالتالي، من الضرورة العودة إلى مشروع سلام يقوم على الاعتراف بحق الفلسطينيين والدولة الفلسطينية، هذا السيناريو ضمن الاتجاه العام في الشارع الإسرائيلي غير مطروح، ما يجعل خياري السلام والحرب معلقين على فرضياتٍ هشّة، ويُنذر بأنّنا في هذه المنطقة لسنا أمام صفقة إقليمية كبرى تضمن الاستقرار الإقليمي؛ بل نحن إما أمام توازن قوى وصراع مستمر، أو حالة من الفوضى المستمرّة التي يمثل المشروع الإسرائيلي والقضية الفلسطينية أحد عناوينها الرئيسية، وانهيار المنظومات الوطنية السياسية العربية عنوان آخر ومن ديناميكيات الصراعات الإقليمية والداخلية.

(باحث ووزير أردني سابق)

> بعرض نتنياهو خرائط جديدة لإسرائيل وللمنطقة تقوم على عقيدة التفوّق الإسرائيلي

في اشتباك المغرب مع محكمة العدل الأوروبية بشأن الصحراء

عبد الحميد اجماهيري

بالنسبة للمغرب، تجاوزت محكمة العدل الأوروبية الاحترازات القانونية والأخلاقية كلّها في إصدار حكم يلغي الاتفاقيتَين المبرمتَين بين الرباط والاتحاد الأوروبي، في مجالَي الفلاحة والصيد البحري، غير أن من نتائج هذا القرار أنّه وضع المغرب في قلب تشابك سياسي قانوني بين مؤسّسات الاتحاد الأوروبي؛ من جهة محكمة العدل الأوروبية باعتبارها جهاز التشريع القارّي، ومن جهة ثانية مجلس الاتحاد والمفوضية الأوروبية والخارجية الأوروبية، باعتبارها المنظومات التنفيذية في التكتّل الأوروبي.
بدايةً، لا بدّ من الإشارة إلى الموقف المغربي وحيثياته في بلورة رفضه القرار. يمكن تلخيصه بأنّ الرباط اختارت الردّ بأنّها غير معنية بالقرار، وهو ردّ أُطّر بعديد من الثوابت والتحفّظات والتنبيهات ذات الصلة بالشكل كما في المضمون. في الشكل، يعتبر المغرب أنّه غير معنيّ لأنّه لم يحضر في أيٍّ من أطوار الملفّ أمام القضاء، لا في الابتدائي ولا في الاستئناف، ولا في الترافع ولا في تقديم الشروح. فلا هو طرف مُدَّعٍ ولا هو طرف مُدَّعَى عليه. وبذلك يكون غير مُلزم بتطبيق مخارجه، حتّى وإن تعلّقت بجزء من ثرواته الفلاحية والبحرية، بما أنّه لم يكن في أيٍّ من حيثياته. المبنى الآخر في بلورة الموقف المغربي، أنّ القرار يخصّ طرفَين في المتابعة أمام المحكمة. هناك جبهة البوليساريو في مقابل مؤسّسات الاتحاد الأوروبي التنفيذية. بالتالي، فالقرار الذي انتصر للجبهة الانفصالية على اثنتين من مؤسّسات الاتحاد، مجلس أوروبا والمفوضية الأوروبية، بات في المحصّلة تعبيراً عن خلاف أوروبي أوروبي، بين جهازَين، واحد قضائي والآخر تنفيذي. ولعلّ ما يثير في القرار الصادر من محكمة العدل الأوروبية إثارته نقاشاتٍ تهمّ الجوهر، ومنها كيف قبلت المحكمة بجبهة الانفصاليين طرف ادّعاء، باسم ساكنة الصحراء، في وقت لا تعترف أيٌّ من دول الاتحاد الأوروبي بهذه الصفة المعتمدة في الحكم؟
ولعلّ الخطيئة الكبرى هي في هذا الاعتراف بالتمثيلية في قضية ما زالت في صميم التقدير الأممي، وتملك فيها منظّمة الأمم المتّحدة حصرية المعالجة. ومن الأسئلة التي تطرحها القضية في وعي المغاربة، بالأساس: أولا، كيف يمكن الحديث عن تمثيلية «شعب» الصحراء، من دون الرجوع إلى قرار محكمة العدل الدولية الصادر في 16 من أكتوبر/ تشرين الأول 5791، بخصوص طبيعة العلاقة التي تربط ساكنة الصحراء بدولة المغرب، وتعزيز سيادته على الأقاليم الصحراوية من خلال «البيعة»، باعتبارها شكل السيادة التاريخية بين السلطان والسكّان؟
ثانيا، وفي سياق التطوّرات الخاصّة بملفّ الصحراء المغربية، نجد أنّ الساكنة المعنية بالقرار، سواء التي رُحّلت إلى مخيمات تندوف أو التي اختارت البقاء في الإقليم الجنوبي المغربي، هاته الساكنة لم تتمكّن من أن تكون موضوع تثبيت الهُويَّة «أو تحديد الهُويَّة»، كما تسمي «المينورسو» (بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء الغربية) ذلك، لأنّ الخلاف الجوهري حول الموضوع كان قوياً، وجزء كبير فيه تتحمّل مسؤوليته الأطراف الانفصالية، والأطراف الداعمة لها، من حيث إفشال مسلسل تحديد الهُويَّة.
بالنسبة للصحراويين في محتجزات تندوف، الوضع أكثر تعقيداً، بحيث إنّ إحصاءهم لم يتم منذ 1975، والامتناع قرار صادر عن جماعة تندوف ذاتها، وهذا الوضع اللاإنساني غير المحتمل يجعلهم أقلّ من لاجئين حسب لوائح المندوبية الأممية السامية للاجئين، بالرغم من توصيات الأمين العام للأمم المتّحدة وقرارات مجلس الأمن في الموضوع.
ثالثا، عنصر الغرابة الموالي أنّ المحكمة نفسها سبق لها أن رفضت صفة الترافع عن الانفصاليين، كما أنّ المدعية العامة لدى الاتحاد الأوروبي، تامارا كابيتا، سبق لها أن ترافعت من أجل إسقاط الأهلية عن البوليساريو في السنة الماضية. وفي توضيح التناقض الصارخ، لم تكتفِ المحكمة الأوروبية بعدم الرجوع الى القرارات القضائية الدولية، بل تجاهلت الحكم الصادر عن المحكمة العليا البريطانية في 2023، التي رفضت إلغاء اتفاق الشراكة بين بريطانيا والمغرب.
رابعها، عناصر التشابك الأوروبي الأوروبي، التي أحدثتها العلاقة الممتازة بين الاتحاد الأوروبي والمغرب نجدها في المستويات التالية: فقد تجاهلت محكمة العدل الأوروبية تقاريرَ صادرةً عن المفوضية الأوروبية ومصلحة العمل الخارجي في الاتحاد، الصادر سنوياً في صفحة تتحدّث أنّ الاتفاقات الأوروبية المغربية تعود بالنفع الثابت على ساكنة الصحراء، الموجودة في الإقليم الجنوبي، التي تشارك، من جهة ثانية، في تفعيل مُخرَجات المشروع التنموي الوحدوي في المنطقة. وهو تقرير يجيب عن العديد من المسلَّمات التي بنت عليها محكمة العدل الأوروبية قرارها، الذي وصفته الرباط بالسافر في انحيازه ضدّ المغرب.
ثانياً، اتضح أنّ قرار محكمة العدل الأوروبية يسير عكس الدينامية الإيجابية داخل أوروبا كلّها فيما يتعلّق بالمغرب والصحراء، إذا استحضرنا أنّ 91 دولة من دول الاتحاد الأوروبي الـ 72 تساند مقترح الحكم الذاتي، وتقيم علاقات مع المغرب لا استثناءات ترابية فيها. ثالثاً، مسارعة العواصم المؤثّرة في أوروبا وفي الملفّ (مدريد، باريس، بلجيكا، روما، برلين) إلى تأكيد تشبّثها بالتعاون المغربي الأوروبي وبالاتفاقات، سواء الثنائية أو القارّية في مجالات الفلاحة والصيد البحري.
رابعاً، لم يقف هذا الدعم اللامشروط عند الدول منفردة، بل اتخذ شكلاً غيرَ مسبوق في التصريح المشترك الصادر عن رئيسةِ المفوضية الأوروبية، أورسولا فون ديرلاين، والممثّل السامي للاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، ويعتبر التصريح المشترك فعلاً نادراً في حوليات الدبلوماسية الاتحادية، وقد نصّ على «التزام الاتحاد الأوروبي لفائدة الحفاظ أكثر على علاقاته الوثيقة مع المغرب وتعزيزها في كل المجالات انسجاماً مع مبدأ (العقد شريعة المتعاقدين)». وجدّد التأكيد على أهمّية الشراكة التي تربط الاتحاد الأوروبي مع المملكة، وعلى «القيمة الكبرى التي يوليها الاتحاد الأوروبي لشراكته الاستراتيجية مع المغرب، التي تبقى واسعة وعميقة منذ أمد بعيد».
ماذا بعد؟ ... فوجئ المغاربة بدعم أوروبا اللامشروط الاتفاقيات المبرمة خصوصاً، والشراكات الاستراتيجية عموماً، كما أنّهم يعتبرون أنّ هاته الشراكة «ملك جماعي بين المغرب أوروبا، وأنّ الدفاع عنها يجب أن يكون مشتركاً»، لا أن يتم التعامل معها كما لو أنّ الدفاع عنها يهمّ المغرب وحده، كما في السابق.
علاوة على ذلك، كان المغرب قد وضع في سنة 2023 تأطيراً عاماً بخصوص الفلاحة والصيد البحري، يُستفاد منه أولاً، أنّ المغرب يأمل في إقامة شراكات أكثر تقدّماً، إذ «تكون القيمة المضافة المغربية أقوى»، وهو ما يعني البحث عن المصلحة الوطنية بشكل أحسن من تفضيل الشريك الأوروبي وفتح الباب واسعاً أمام تنويع هاته الشراكات. وثانياً، تطوير مشروعه الوطني في الصيد البحري عبر استراتيجية «اليوتيس»، وذلك بوضع رؤية مخصّصة لتطوير القطاع، تأخذ في الاعتبار (وتقتضي) الملاءمة في إطار التفاعل مع الشركاء، وهو مخطّط محكوم بنتائجه الوطنية وانعكاساته على تطلّعات الفاعلين الوطنيين من دون تغييب الشركاء الدوليين والأوروبيين ضمناً. الاعتبار الثالث، وهو مرتبط بالمستقبل الخاص بالمورد البحري، وعلاقته بالنسبة لأجيال المغرب القادمة، والعمل على تطوير الجانب العلمي المرتبط به؛ وهو الاقتصاد الأزرق الذي شرع المغرب في بلورة خاناته.
تحيل أطوار القرار الصادر عن محكمة العدل الأوروبية، في جانب منها، على الظلال المعتمة، التي سبق أن ألقتها قرارات البرلمان الأوروبي على العلاقة مع المغرب في سياق سابق، كان قد أقحم المغرب وقطر معاً، في قضية تبيّنت عدم صدقيتها، كما تحوّل إلى منبر حقوقي مناهض، هو سياق تغيّر بشكل كبير، كما أنّها تعيد إلى الأذهان أنّ مؤسّسات الاتحاد الأوروبي، التشريعية والقضائية والتنفيذية، تعمل بمنطق تتصارع دوافعه ونتائجه في أحيان كثيرة، وهو ما يفسّر لجوء المغرب إلى القيام بنقطة نظام بين الفينة والأخرى، لضبط اللغة السياسية والجيوسياسية بين الطرفَين، كما في ضبط منظومته الدبلوماسية.

(كاتب وإعلامي مغربي)

> تعمل مؤسّسات الاتحاد الأوروبي بمنطق تتصارع دوافعه ونتائجه، ما يفسّر محاولة المغرب ضبط اللغة السياسية والجيوسياسية بين الطرفَين

عام الإبادة والعري العربي

معن البياري

تعوّذنا من الشيطان الرجيم، نحن بعض الأصحاب، لمّا طلب أحدُنا من كلٍّ منّا أن يضع نفسَه مكان نتنياهو، ثم يسأل نفسَه عن سببٍ يجعلُه يوقف حرب الإبادة على ناس غزّة وعُمرانها. وهذا سؤالٌ وجيه: ما الذي يجعل رئيس الحكومة الفاشية إيّاها أن يوقف هذه الحرب؟ لا يطالبه أحدٌ في إسرائيل بهذا، والمشاركون في المظاهرات الحاشدة يدعونه إلى إبرام صفقةٍ مع حركة حماس تعيد المحتجزين لديها، مدنيين وعسكريين، ولو بثمن وقف الحرب. ولا يُخفي أركان المعارضة أنهم، عندما يلحّون على هذا، أنهم يدعمون استئناف العدوان بعد ذلك. وفي الخارج، كان «حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها» في منزلة العقيدة لدى دول كثيرة، من دون اكتراثٍ بالأكلاف الإنسانية الباهظة التي ما انفكّت تشتدُّ منذ الأسبوع الأول للحرب. وإذ تحسّنت مواقف بعض تلك الدول، عندما التفتت إلى فداحة ضرب المستشفيات وقتل مئات المدنيين يومياً وضرب مظاهر الحياة الطبيعية وشروطها، فإن هذا التحسّن المحمود لم تواكبه أي إجراءاتٍ اتّخذتها هذه الدول ضد دولة العدوان. ولا يجوز إغفال الدور شديد الأهمية للأمم المتحدة، وأمينها العام، ومؤسّساتها وأجهزتها، في تنوير العالم بما ظلّ يلحق الغزّيين من جرائم مروّعة. وإذا تذكّرنا أن الولايات المتحدة التي صوّتت في مجلس الأمن ثلاث مرّات ضد مشاريع قراراتٍ لوقف إطلاق النار، قبل أن تصوّت إيجاباً في مرّة رابعة، بات رئيسُها ونائبته ووزير الخارجية، منذ ثلاثة أشهر، يقولون هذا، ويؤطّرون مقترحاتٍ وصيغاً له، إلا أن هذا ظلّ في المربّع اللفظي غير الضاغط على دولة العدوان، بل واكبه تزويد الأخيرة بما يلزمها من أسلحة التدمير والقتل، فالرئيس بايدن علّق، في مايو/ أيار الماضي، تسليم إسرائيل قنابل تزن ألفي رطل وأخرى تزن 500 رطل، ثم أذِن، في أغسطس/ آب الماضي، بتسليمها القنابل الأخيرة. أغضبت نتنياهو بعض نداءات ومطالبات، وأزعجه أن يصبح جوزيب بوريل صاحب صوت عالٍ في نداءاته لوقف العدوان، ولم تسرّه مواقف (وإجراءات) متقدّمة بادرت إليها دول في أميركا اللاتينية، لكن لواحدِنا أن يخمّن أن دولة الاحتلال مغتبطةٌ بما لا شطط في تسميته العري العربي في غضون العام الذي يكتمل اليوم، فإذا كانت بياناتٌ وخطاباتٌ لزعماء وقادة ووزراء ومسؤولين عرب، في منتظمات دولية، وفي اتصالات مع عواصم وازنة، ممتازة في التشهير بإسرائيل وجرائمها في غزّة وبانعدام اكتراثها بالقانون الدولي، فإنه لا يغيب أن دولة الاحتلال هذه لم تُقم في يوم اعتباراً للحروب الكلامية ضدها، ولم تحترم أي قرار أممي أو دولي أو إقليمي يطالبها بشيء. ولا يشار إلى هذا للاستنكاف عن فتح كل الجبهات السياسية والدبلوماسية والقانونية ضد إسرائيل، وإنما للتذكير بأن حرج الأنظمة العربية (وغضبها) من فظاعاتٍ لم يتوقف جيش الاحتلال عن اقترافها في غزّة لا موضع له على طاولة هيئة أركان هذا الجيش وكبار جنرالاته عندما يعيّنون مسارات الصواريخ وقذائفها.
نقول العري العربي، لأن الانكشاف الذي بدت عليه حكومات دولٍ عربيةٍ يفترض أنها وازنة بدا أفدح مما كان ليس مستبعداً. ولسائلٍ أن يسأل هنا عمّا منع الرئاسة المصرية عن التلويح بإعلان تعليق معاهدة السلام مع إسرائيل، بل بإلغائها إذا تمادَت الأخيرة في جرائمها؟ لماذا لم تتذكّر عمّان أن الملك الحسين وضع معاهدة السلام في كفّة وترياق المواطن الأردني خالد مشعل (1997) في كفّة؟ ما الذي كان يجعل البحرين والإمارات والمغرب على هذا التمسّك بمعاهداتهم الإبراهيمية واتفاقاتها الكثيرة مع دولةٍ يُتّهم رئيس حكومتها بارتكاب جرائم حرب؟ ... لا نقول العري العربي لأن قضية فلسطين لم تعُد مركزيةً عند صنّاع القرار الرسمي العربي، ولا لأن الدول العربية تخلت عن استراتيجية مواجهة إسرائيل عسكرياً منذ 1973، وإنما لأن رئيس مصر لا يرى، في أسابيع العدوان الأولى، مخاطر في تهجير الغزّيين إلى النقب أو غيرها، وإنما في تهجيرهم إلى بلده، ولأن من كتبوا قراراً لمؤتمر عربي إسلامي بإدخال المساعدات إلى القطاع فوراً كانوا أعجز من أن يطلبوا من القاهرة عدم الامتثال لقرار أهمّ أخذه المعتدون، تفتيش كل شاحنة مساعدات بالكيفية التي يروْنها، وبالترخيص لمرورها بحسب تقديرهم. كان عام الإبادة، وعام قضية فلسطين طبعا، وعاماً ساند الانكشاف العربي إلى حد العري المعلن نتنياهو في عدم وقف المذبحة.

ماذا حقّقت الضربة الإيرانية؟

عيسى الشعيبي

فيما يتكشّف مع مرور الوقت مزيدٌ من الخسائر المادية المُتكتّم عليها، تلك الناجمة عن الهجمة الصاروخية الإيرانية المركّزة ضدّ عدة مواقع وقواعد جوية إسرائيلية، وفق ما تواصل نشره منصّات التواصل الاجتماعي والأقمار الصناعية، وما يجري بثّه من مقاطعَ مصوّرةٍ، تسرّبت من قبضة الرقابة العسكرية الصارمة، هناك في المقابل جملة من الخسائر غير المنظورة، لحقت بدولة الاحتلال، ومسّت بها مسّاً شديداً، عميقاً، طويل المدى وبالغ الأثر، من دون أن يحفل بها المعلّقون على هذه الضربة كثيراً، بهذا الشقّ الوازن من ركام الخسائر الإسرائيلية المتجلّية أمام نظر كلّ ذي عين بصيرة. يمكن لكلّ صاحب وجهة نظر مسبقة، أو لكل من لديه كراهية صغيرة إزاء سجلّ الجمهورية الإسلامية الإشكالي، المثير للواعج في الخليج والمشرق العربي، أن يُهوّن النتائج المادّية الملموسة لهذه الضربة، وأنْ يُصدِّق أكاذيب الناطق العسكري الإسرائيلي كما يشاء، بل أن يجزم أنّ لوح زجاج لم يُكسر في تلّ أبيب، جرّاء دويّ نحو مائتي صاروخ كانت كلّها مُجرَّد ألعاب نارية.
ويظلّ السؤال: ما هي هذه الخسائر غير المنظورة، التي تستحقّ مثل هذه المقاربة المتأنّية، وتستأثر بكامل هذه المساحة، إذا كانت الخسائر المادّية المحسوسة ذاتها موضع أخذ وردّ وسجالات حادّة؟ ... ممّا لا تغفله عين مراقب موضوعي، ولا يفوّته بصر من يرى الأكمة المتوارية خلف الشجرة بوضوح، أن يُسجِّل في هذا الصدد ثلاث سوابق غير مسبوقة في تاريخ هذا الصراع المديد، وأن يرى كذلك طيفاً من النتائج التي لا تقبل التأويل، ترتبت من هذه الضربة المفاجئة لحلفاء إيران قبل خصومها، وغير متوقّعة من جانب أعداء بلد وازنٍ وكبير، أَسمع الجميع طوال عامٍ كامل جعجعةً بلا طِحن، فبدا مثل ذئب شائخ، إلى الحدّ الذي صارت تهديداته منصّةً للاستهزاء والتندّر.
السابقة الأولى ماثلة في حقيقة أنّ هذه الضربة الصاروخية، وأيّاً كانت دوافعها الخفية أو نتائجها المنظورة وغير المنظورة، هي أكبر ضربة صاروخية تعرّضت لها دولة الاحتلال منذ قيامها قبل 76 عاماً، أظهرت هشاشة مناعتها الذاتية وقصور دفاعاتها الجوّية، وحاجتها المُلحَّة للحماية الأميركية. أمّا الثانية فقد تجلّت في واقعة أنّ الضربة هذه كانت أكبرَ ضربةٍ صاروخية في التاريخ، حدثت خلال دقائق معدودة، أقلّه منذ دخول الحروب الحديثة عصر الصواريخ الباليستية، ويزيد من أهمّية السابقة الثانية هذه أنّها الأشد ثقلاً من نظيرتها السابقة، كما أنّها كانت بكاملها صناعةً ذاتيةً، وهذه سابقة ثالثة من سوابق العالم الثالث النادرة، إن لم نقل طفرة قد تُشكِّل نقطةَ تحوّلٍ في المواجهة المُحتدِمة. في طيف الخسائر غير المنظورة، وهي بيت القصيد في هذه المطالعة، نجد أنّ هذه الضربة، التي أطلقت 1800 صفارة إنذار دوّت على امتداد الخريطة، وأدخلت عشرة ملايين صهيوني إلى الملاجئ دفعةً واحدةً، قد أنذرت بفتح جبهة سابعة من العيار الثقيل، وأيقظت دولةَ المجانين من نشوة الإنجازات الاستخبارية، نشوة شارفت ضفاف سكرة حرب الأيام الستّة، الأمر الذي بدّد حلم نتنياهو بإعادة صياغة الشرق الأوسط على مقاس الدولة العبرية، رغم استمرار حالة الإنكار والمكابرة. كما أطلقت هذه الضربة، التي خلقت ديناميات لا حصر لها، وأنتجت قوّةَ دفع استثنائية، تعزّزت في سياقاتها روح القتال، رفعت المعنويات، وأخرجت المقاتلين في لبنان وغزّة من حالة الصدمة، ورفدت القوّة الكامنة في النفوس، التي هدّتها سلسلة الاغتيالات، بطاقة داخلية مُتجدّدة، بمضاء وعنفوان وثقة، تماماً على نحو ما تجلّت عنه أخيراً المعارك في مارون الراس، وفي رفح وخانيونس، من خلال مواجهات بطولية وهجمات من المسافة صفر، أثخنت جنودَ الاحتلال قبل أن يعبروا عتبةَ الباب، وقلبت عليهم الطاولة والتوقّعات، وتلك واحدة من أهمّ النتائج غير المنظورة لهذه الضربة، التي وقعت أساساً في حيّزٍ الوعي، وأتت في وقتها الملائم، بعد أن تأخّرت كثيراً، وبدت لوقت طويل غايةً عصيّةً على التحقّق، وبعيدة المنال، حتّى الدقائق السبع الأخيرة من لحظة وصول الصواريخ.

شهادة على الألم

عاطف أبو سيف

عام مضى، كنت فيه مُجرَّد خيال آخر في درب المُكرَهين على الخروج من البيت، يلتفتون خلفهم بحسرة وألم، ثمّ يمسكون هواتفهم النقّالة يبحثون عن صور التقطوها قبل ساعات، فصارت الفردوس الذي فقدوه. أعرف كيف يفقد المرء قلبه لأنّ كلّ من عاشوا فيه رحلوا، وكيف يفقد عقله لأنّ كل ما يجري حوله غير منطقي، وكيف يفقد شغفه للغد لأنّ لا غدَ في أجندة الوقت القادم.

شممتُ رائحة التراب قبل أن يسقط عليه المطر، وشممتُ عطر الأرض وهي تنتفض وتهتزّ، ورأيت رعشتها تسري في روح البلاد قبل أن تتفتّق أزهاراً ووروداً ونباتات تحمل أسماء من سكنوا البلاد وعمّروها. شممتُ كيف تكون الحياة قبل الموت، وكيف تسبق كلّ شيء سواها. شممتُ جيّداً فحولة البقاء في وجه عصف الفناء، وحدّقت جيداً في الزهرة وهي تتفتّح قبل أن تعصف بها الريح.

ورأيت يد ملك الموت تقطف الأطفال عن أشجار سامقة، ثمّ تضعها في سلال من قصص قبل النوم ويمضي. ورأيت رؤوس الأطفال تقفز من السلّة تريد أن تهرب نحو الحياة، كأنّها تواصل قهقهةً كانت بدأتها بين يدَي أمٍّ فرحة بمولودها الأول. ورأيت ذلك كلّه، وعرفتُ أن التوازن بين الحياة والموت لعبة الكون المستحيلة، وأعرف أنّ موج البحر الذي هاج وماج، وأنا أستحمّ في ذلك الصباح، ظلّ عالقاً على جلدي، لا ملح، ولا رغوة الزبد ولا أنين آخر فلول الليل وهو يغادر بعد غزو الصباح، لا شيء يشبه ذلك الإحساس والسماء تزدان بأقمار ونجوم تسطع في قباب القلب. وكنتُ أركض نحو النجاة أخاف من يد الموت أن تقطف رأسي، وتضعه في السلّة القشّ، التي تمضي بها نحو عالم الساحرات الأثير.

سمعت صوت النائحات يندبن موت العصافير. لم تكن ثمّة أعمدة يقفن خلفها ولا رواةٌ يعيدون تذكير الجمهور بقصص البطولة التي اغتالها الخلود. كان الكون مسرحاً لما يجري كلّه، وظلّ الجمهور صامتاً، ولم يصفّق أحدٌ. لم يُخرج أحدٌ منديله ليمسح دمعةً تسلّلت خلسةً من خجله وقلّة حيلته. سمعتهن يردّدن أسماء من رحلوا في بكاء تراجيدي كاشفات وجوههن، تاركات صدى صوتهن يعود نسيماً يمسح القليل من القلق والخوف عن خدودهن المتوهّجة من شدّة الفراق. وسمعت كيف يتوارى الصوت وراء ظلال الغابات المعتمة، حيث يرقد الغول ينتظر فريسةً لم تأتِ طواعيةً، ولم يقدر على جلبها من مَخدَع الحياة.

أعرف كيف هاج موج البحر يبرق رسالات سماوية لكلّ الذين عبروا الدروب الممنوعة، ووقفوا على كثبان الرمال يلوّحون للأفق، وأعرف صهيل الحلم حين يقف على جناحيه قبل أن يُحلّق قرب الشمس، ورأيت كيف تنتظر المدن فاتحيها، وكيف تبرق بالنسيم لكلّ مُقبِل نحو تخوم الأسوار المُقفَلة. أعرف ذلك كلّه، وأعرف الوجع حين تبكي أمّ ابنها، وحين يفتقد شابّ حبيبته التي أمضى عامَين يُقنع أمَّه بأن توافق على خطبتها له، وحين تصير فتاةٌ رشيقةٌ بقدم وساق فقط، وتصير تحلم بساقها وذراعها المدفونين في قبر أوصت والدها بأن يضعا عليه شاهدةً تقول: هنا يرقد جزء منها. أنا أعرف ذلك كلّه. وأعرف الألم ومرارة الفراق حين تنظر امرأةٌ كهلةٌ لبقايا عائلتها تحت الركام، ولا تقدر على رفع حجر واحد، تريد فقط أن ترى وجه أحدهم، وتعتب عليهم أنّهم ذهبوا وتركوها، ولا تعرف أنّها هي التي بقيت وتركتْهم يذهبون وحدهم حين أخطأها الموت وظلّت تندب حظّها أنّها لم تركب معهم عربتهم، التي تسمَع وقع حوافر الخيل وهي تجرّها كلّ ليلةٍ، ثمّ بصمت تقول إنّ الأجَل لم يأتِ بعد، وتغفو لا تعرف إن كانت ستستيقظ في الصباح أم أنّ تلك نومتها الأبدية. وأعرف حين يحمل الرجل رأسَ ابنه يبحث عن جسده، حتّى يكتمل موته، وكيف تركض الأمُّ بين خيمة وأخرى تبحث عن بقايا أولادها، التي تناثرت أمام عينيها وسط لهب الانفجار، وأعرف كيف تطير النافذة وتحطّ، قربَ ركن بيت آخر، فتشعر بالدوار لأنّها تركت جزءاً من ذاكرتها في ركام آخر.

وأعرف كيف كتب الطفلُ اسمَه على ذراعه، حتّى لا تضلّ الطريق بين أشلاء الآخرين، وكيف ترسم شابّة وجهَ حبيبها على ورقة صغيرة، بعد أن ضاعت معالم وجهه تحت الركام.

> سمعت كيف يتوارى الصوت وراء ظلال الغابات المعتمة، حيث يرقد الغول ينتظر فريسةً لم تأتِ طواعية

> أحصي عدد البيوت التي تهدّمت والأهل الذين استشهدوا والأصدقاء الذين ذهبوا، ثمّ أظنّ أنّ هذا كلّه لا بدّ أن يكون جزءاً من خيال مُؤلِّف يهوى العنفَ

وشاهدت المدينة تصغر كلّ يوم وتتداعى وتتقلّص وشاهدت الشوارع تفقد ذاكرتها وتفقد حواسها. شاهدت المدينة تفقد بعضاً منها، ثمّ يختفي كلّها، ثمّ أختفي من إطار الصورة المعلّقة في صدرها. المدينة التي لم تعد نفسها، والشوارع التي لم تعد تحمل أسماءها، سقطت اليافطات الصغيرة التي تشير إلى هُويَّة الطريق، وسقط ما حمل اسم الطريق أو دالّته، المدينة التي لم تعد تحتفي بوهج النهار حين تسطع الشمس ولا تستقبل النهار بلهفة العاشق حين يجنّ الليل، ولا تنتعش حين يتطاير فوق جبهتها رذاذ الموج، ولا تدندن لصوت حبّات الرمل على مفارق الطرق. المدينة التي اغتالتها الطائرات حين حلّقت فوق مبانيها، وكان الجندي يلهو بإزالة تلك المباني وهو يجلس خلف شاشة كمبيوتر كبيرة في القاعدة العسكرية على الحدود، ويقول لحبيبته إنّهما مساءً سيشربان نخب زهوه المفرط.

نعم، شاهدت المدينة تبتعد عني، شاهدتها مثل مشهد يبهت في شاشة السينما ولا يعود موجوداً. كنت أقود سيارتي كلّ يوم في طريق مختلف، لأنّ الطرق كان يختفي بعضها إثر القصف والإزالة، وكان الركام تلالاً من الحجارة والحديد، وآنية المطابخ المهشّمة، والزجاج المسافر من النوافذ، وألعاب الأطفال التي تحتضر تنتظر من ينشلها من سكرات الموت المُحقّقة. كلّ يوم أسافر في طريق جديدة، والزمن الصغير الذي كنت أقطع فيه الطريق من بيتي إلى بيت الصحافة، وكلاهما لم يعودا موجودَين، صار يطول ويكبر، لأنّني كنت أقود في طرقات بعيدة في أحياء المدينة بحثاً عن طريق لم تتداعَ البيوت في جانبيه وتغلقه. شاهدت المدينة وهي تلوّح بيدها بوهن من تحت الركام، ركام بيوتها، ركام بناياتها الشاهقة، ركام الشوارع المزفّتة، التي بقرت بطنها الطائرات فأخرجت كلّ ما جوفها من رمل وحصى وحجارة، كانت ضعيفةً تتوجّع وكنت ضعيفاً وأتوجّع، وكانت نظرات عيني لا تقدر على التحديق بالجرح النازف من وجهها، فأشيح نظري بعيداً أحاول أن أهرب، وكلما هربتُ منها هربتُ إليها. هل كنّا واحداً يتألم؟ هل كنّا جسداً ممزّقاً بين ثنايا الركام؟ هل كنّا بقايا دمعة نزلت من خدّ الكون ولم تستقرّ بعد؟ وكنت أبكي كلّما فكّرت في ذلك كلّه.

كانت الحرب تمسك ممحاةً لا ترحم، وتزيل من قائمة أصدقائي أقربهم إلى قلبي، فتزيل معهم جزءاً من ذاكرتي، تمحو أسماءهم بقسوة قاتل، فأغمض عينَي أحاول أن أقنع نفسي بأنّي أحلم وأن الذي يجري مُجرَّد هلوسات من حمّى أصابتني أو أصابت البلاد، فيما الممحاة تواصل إزالة أسماء من أحبّ، فأفقد مع رحيل بعضهم جزءاً من طفولتي، ومع رحيل بعض آخر جزءاً من شبابي، ومع رحيل جزء ثالث ما تبقّى من طموح وسعي إلى الحياة. والممحاة ذاتها كانت تمتدّ لقائمة الأهل، فتزيلهم وتمحو بعضهم، وكنت أغمض عيني لا أريد أن أرى من أحبّ يسقطون مثل بقايا الطبشور على سبّورة فصل مُهمَل. فتواصل محوها بذات القسوة، فتزيل الجيران والشوارع والأزّقة والطرقات والمباني، التي كانت ذاكرتي تبهج وهي تنظر إليها وأنا أسير في طرقات المُخيّم، الذي لم ألف مكاناً أكثر منه، وفي شوارع المدنية التي ظلّت تغذّيني بالقصص وبالحكايات وببهجة الحياة.

لم أرَ أبي وهو يغادر العالم إلى عالم آخر، ولم أتخيّل أنّ الرجل الذي منحني اسمي، وظلّ اسمي عالقاً به، فُكنِّيَ بـ«أبي عاطف» سيذهب وسيأخذ معه جزءاً باهظاً وشاسعاً مثل حقول لا تنتهي من ذاكرتي. رأيته آخر مرّة وأنا ألُوّح له من نافذة السيارة، وأنا أغادر الشمال إلى الجنوب. ظلّ واقفاً في الطريق. رفض أن يخرج معنا فلم يجد في أيّ محاولة منفعةً. قال: تعبت. قلت: كلّنا تعبنا. نظر لابني يوصيني أن أنتبه عليه كثيراً. لم أرَ أبي وهو يغادر العالم، العالم الذي لم يمنحه كثيراً من الهدوء حيث ولد، والنكبة تفرد رداءها الأسود فتغطّي عينيه وتكتم صرخة مجيئه إلى الحياة، وعاش طوال حياته في المُخيَّم، وما إن انتهى من بناء بيت يليق بشيخوخته هناك، ذهب البيت وأمضى آخر أشهر من عمره بلا بيت، حتّى رحل لبيته الأبدي.

نعم شاهدت ذلك كلّه، وكنت لا أعرف ماذا أفعل. حين ترى من تحبّ يموت وتدرك أنّك أكثر عجزاً حتّى عن التفكير في سبل إنقاذه، حين يكون همّك أن يأكل طفلك الذي أودعته الحرب أمانةً معك، وتعرف أنّ ثلّاجات «السوبر ماركت» تفرغ كلّ يوم، ورفوفها تزول يوماً بعد آخر، ثمّ يختفي كلّ شيء، ويصبح تحضير وجبة طعام متواضعة عملاً بطولياً. ثمّ حين تمطر السماء تنظر بغضب للمزن تريد لها أن تصمت، وتريد للشمس أن تواصل وهجها، وللصيف أن يظلّ شابّاً فلا تغرق لأنّك لن تجد ما تحتمي به من زخّات المطر.

وشاهدتُ الدبّابات تدوس سجّادات المصلين وعتبات أحلامهم نحو الفردوس، وشاهدتُ جرس الكنيسة يئنّ من وقع القذائف على أسوارها، وآخر ظلال السفن التي رست في الميناء القديم تغوص في الرمل مثل حكاية انتهت بموت الساحرة، والأسماك الصغيرة التي ظلّت عالقةً في الشباك وجدت طريقها إلى اليمّ بسهولة بعد موت الصياد. شاهدت الجندي يكتب على جدران البيت بلغة غريبة أنّه يعتذر لأنّه ترك الجدار واقفاً، كان يجب أن يهدمه، وبين يدَي سقط منشور رمته الطائرة من السماء تقول لنا بصرامة إنّنا سنموت ولن ننجو، وشاهدت الصور تتطاير من عدسة المصوّر وهو يصعد عالياً، وتناثرت الصور مثل حبّات أرز من نوافذ طريق يحتفل بعريس جديد. وشاهدت «بلال» ينفخ في الهواء يبحث عن غيمة يركبها ويذهب على بساطها نحو عالم لم تطأه قدماه، وعبد الجواد يرمي الحبّ لطيوره الصغيرة، ويواصل تأمل الشجرة الصغيرة التي زرعها في الغرفة الصغيرة التي يعيشون فيها، وشاهدت سليم يمسك بآخر كلمة في قصيدته الأخيرة، ويقول «كأنّ الوزن قد كسر»، وشاهدت أحمد ومحمّد يخرجان من زنزانة السجن ينتظران الشهادة ولو بعد سنوات، وشاهدت قوافلَ أصدقاءَ كلّهم يمضون في مروج تلمع أكواز الذرة الناضجة من سيقانها تبتسم للشمس، وأخذت أحاول أنّ ألتقط لهم الصورة الأخيرة، لكن لا كاميرا لدَي ولا ألبوم، ثمّ جلست على ركام بيتنا أبحث عن ألبوم العائلة، حيث صور طفولتي، فلم أجده.

شاهدتني وأنا أغادر المدينة مثل حلم يقفز عن وسادة النائم ويسقط أسفل السرير. لم أبتسم ولم أبكِ، ولم أستطع قول كلمة؛ حتّى نظرة للخلف أو تنهيدة أخيرة لم أقوَ عليها. كنت أحدق فقط في ما تبقّى مني وفي ما تبقّى من المدينة، وما تبخر مني وما تبخّر منها، ثمّ أواصل السير للخلف من دون أن أدرك أنّني حين كنت أعدّ خطواتي إنّما أذكّر نفسي بأنّ الطريق لم تعد ذات الطريق، وكنت أعيد الكرّة مرّة أخرى كلّما نسيت عدّ خطوة تاهت بين المسافات التي أقطعها فأقوم بالعدّ من جديد، وأرى ريش أجنحة الحمام يطير بلا أجنحة وبلا حمام، يبحث عن صاحبه الذي انتزعته شدّة القصف منه، مثل ظلّ يبحث عن صاحبه، أو بقايا ضحكة تبحث عن الشفاه التي سقطت منها، أو بقايا طلاء الأظافر يبحث عن أصابع شابّة كان سيزيّنها لو لم تقطع الطائرة اليد وتمزّق الجسد. شاهدتني أقف في ظلّ شجرة كينا أنهكها قصف المدرسة المجاورة لها، وأحصي عدد البيوت التي تهدّمت، وعدد الأهل الذين استشهدوا، وعدد الأصدقاء الذين ذهبوا، ثمّ أظنّ أنّني أحلم، وأنّ هذا كلّه لا بدّ أن يكون جزءاً من خيال مُؤلِّف يهوى العنف.

وشاهدت الفصول تتزاحم، والأيام تركض في سباق ماراثوني، والأسابيع تلهث في لحاق بعضها ببعض، والشهور تتسابق. لم أكن أجلس في مقصورة الشرف، ولم أحجز مقعداً أرى فيه المشهد من زاوية نائية أو قريبة. كنت هناك وكان الزمن حاضراً قبل أن يأفل نجم المكان. وكان أكتوبر يسبق الشهور كلّها، ثمّ يلهث منهكاً متعباً، وسمعت جارتنا تلعن الشهور كلّها، وتندب أبناءها وزوجها وبيتها وشارعها، ثمّ يعود كلّ شيء. يعود الزمن، تعود القوافي للقصائد، والشغف للحكايات، والألم للجرح، والنوافذ للبيوت، والمفاتيح لأقفال البيوت، والراحة لكنبة صالون مهملةٍ فوق الركام، وتعود الشهور كأنّ الحرب ستبدأ من جديد.

وأعرف أنّني لم أعد أحمل منّي إلّا ما أفلحتُ بالقبض عليه من ذكرياتي الهاربة، وقائمة بأسماء أصدقائي وعائلتي وجيراني، وأعرف أنّني أريد أن أتذكّر ذلك كلّه، وأريد أن أظلّ عالقاً بتراب البلاد جاء المطر أو جفّت الأرض، أريد أن أظلّ هناك حيث نحيب الروح يتردّد صداه بين مسامات التراب، وفوق قباب التلال وخدود الموج وأوراق الأشجار وملح الأرض.

(روائي ووزير فلسطيني سابق)

الشرق الأوسط والتغييرات الكبرى

إياد الدليمي

هل منطقة الشرق الأوسط مقبلة على تغييرات كبرى؟ ما طبيعتها؟ وهل ستكون تغييرات سياسية فقط أم سياسية جغرافية، وحتّى اجتماعية واقتصادية؟ وما علاقة «الفوضى الخلّاقة» بما نشهده اليوم؟ ... أسئلة بات طرحها ضرورياً في خضمّ ما نعيشه من تداعيات متسارعة، وحرب يمكن القول إنّها بدأت، ولا أحد يعرف أين ستقف، ومتى وبأيّ شكل.

ما يجري منذ 7 أكتوبر (2023)، يوم أن نجحت كتائب القسام في توجيه صفعةٍ كُبرى إلى دولة الكيان الإسرائيلي، يثير تساؤلاتٍ كثيرة، خاصّةً أنّ الأحداث بدأت تتداعى بشكل كبير وغريب، وفي حاجة إلى كثير من محاولات الفهم، فنحن اليوم لم نعد إزاء محاولة إسرائيلية لاستعادة الهيبة المفقودة عقب 7 أكتوبر، وإنّما توسّعت القصّة وتمدّدت وبات لها أكثر من رأس، وصار لزاماً على كلّ من يحاول أن يجد له مكاناً في «الترسيم» الجديد أن يبحث له عن دور، أيّ دور، فقطار التغيير السريع انطلق بلا هوادة.

في أجواء الحرب المستعرة في العديد من زوايا الشرق الأوسط، يعود إلى الواجهة مصطلح «الفوضى الخلاقة» بكلّ تفاصيله وتداعياته، المصطلح الذي طفا في سطح الأحداث عقب تفجيرات 11 سبتمبر (2001)، غير أنّه لم يأخذ حظّه من التداول إلّا في أعقاب تصريح لوزيرة الخارجية الأميركية حينها، كوندّاليزا رايس، في حوار مع صحيفة واشنطن بوست (إبريل/ نيسان 2005)، يوم أن تحدّثت عن أنّ واشنطن بدأت فعلياً بنشر «الفوضى الخلّاقة» وصولاً إلى «شرق أوسط جديد»، ونشر الديمقراطية في الوطن العربي عبر تلك «الفوضى». و«الفوضى الخلّاقة» ببساطة عمل سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي متعمّد ومقصود، تقوم به جهة أو جهات، أشخاص أو منظّمات أو دول، بغية ترتيب الأوضاع في مكان لصالح من أحدث تلك الفوضى، التي ستكون حينها «خلّاقةً » لأنّها تتناسب مع أهدافه وتطلّعاته. تعدّ الولايات المتّحدة رائداً في مجال «الفوضى الخلّاقة»، فقد سبق أن دشّنتها عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، واستهدفت الوقوف بوجه الشيوعية وتمدّدها، فكان أن جرّبتها ضدّ الاتحاد السوفييتي السابق وجمهورياته، وجرّبتها في دول أميركا اللاتينية.

> الحرب الجارية ليست سوى مدخل لتغييرات كبيرة ستطرأ في المشهد، تغييرات سياسية تتبعها تغييرات اقتصادية واجتماعية

وفيما يخصّ منطقتنا العربية، أو الشرق الأوسط كما يحلو لأدبيات المستعمرين أن تطلق عليه، بدأ الحديث عن فوضاه الخلّاقة في ثمانينيّات القرن المنصرم، يوم أن كتب المستشرق برنارد لويس عن أهمّية إحداث «الفوضى الخلاقة» في منطقة الشرق الأوسط، والعالم العربي لمواجهة الإسلام الراديكالي، فهو كان يعتقد أنّ الولايات المتّحدة ستدخل في صراع مع هذا الإسلام، ومن ثم، لا بدَّ من إحداث الفوضى وإعادة بناء المنطقة لتكون ديمقراطية قادرة على أن تتعايش مع إسرائيل.

المفارقة أنّ لويس طرح العراق نموذجاً قابلاً لـ«الفوضى الخلّاقة»، فهو يرى فيه دولةً علمانيةً، تقوم على مقدرات بشرية ومالية كبيرة، ومن ثم يمكنه أن يصلح نموذجاً ديمقراطياً يُحتذى في المنطقة.

في العام 2003، طرح مايكل ليدن، أحد أقطاب المحافظين الجدد، ويوصف بأنّه من أهمّ مفكّري صناعة القرار الأميركي، مفهوم «الفوضى الخلّاقة» من جديد، غير أنّه هذه المرّة غيّر في التعبير، وأطلق عليه «التدمير البنّاء»، وهو رغم اختلاف الكلمات يُؤدّي المعنى نفسه. أعدّ في العام 2003 مشروع «التغيير الكامل في الشرق الأوسط»، ووضع له تاريخاً زمنياً لبدء التنفيذ، اعتباراً من العام 2013، وفي هذه الدراسة يرى ليدن أنّه من المهمّ إجراء تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية في كل أنحاء المنطقة، وفقاً لاستراتيجية الهدم ثمّ إعادة البناء، فالقوى اللامتناهية للولايات المتّحدة يمكن أن تستخدم كلّ عشر سنوات باختيار بلد صغير لتدميره ثمّ إعادة بنائه، ويرى في ذلك مهمّةً تاريخيةً تقع على عاتق الولايات المتّحدة.

من هنا يمكن القول إنّ 7 أكتوبر لو لم يحدث لأوجدت إسرائيل، أو حتّى أميركا، حدثاً آخر يخوّلها المضي في مشروعها؛ «الفوضى الخلّاقة»، أو «الهدم البنّاء»، سيّان، خاصّةً أنّ المنطقة تعيش منذ عقود حالةً من اللّاف والدوران في قضايا مصيرية كثيرة، وفي مقدمتها قضية فلسطين، التي يبدو أنّها كانت نسياً منسيّاً قبل 7 أكتوبر.

الآن والحال كذلك، إلى أين نحن ذاهبون؟ ... بتقدير كاتب هذه السطور، بدأت المنطقة بالتغيّر، وأنّ الحرب الجارية ليست سوى مدخل لتغييرات كبيرة ستطرأ في المشهد، تغييرات سياسية تتبعها تغييرات اقتصادية واجتماعية، بعد أن أدرك الجميع أنّ شهية نتنياهو المفتوحة للحرب لم تكن شهيته فحسب، وإنّما شهية واشنطن ولندن، وحتّى باريس.

ربّما لن نشهد قريباً تغييرات في صعيد الخرائط الجغرافية، ولكن يمكن أن يحدث ذلك بعد عقد، المشكلة أنّ الآخر (العدو) غارق في التخطيط، بينما نحن غارقون في معاركنا التاريخية، من داحس والغبراء حتّى يزيد والحسين. يبدو أن إيران التي مثّلت رأس الرمح في مواجهة مخطّطات الشرق الأوسط الجديد، هي الأخرى، متورّطةٌ في هذا التغيير من خلال دفعها فصائلها المتحالفة معها إلى الدخول في أتون المعركة، بينما هي ما زالت توازن ردودها على الكيان، الذي لم يترك مكاناً للضرب في إيران لم يضربه، منذ سنوات.

هل كانت الضربة الإيرانية، الأسبوع الماضي، الجريئة، بكلّ ما تحمله الكلمة من معنى، كافيةً لردع إسرائيل؟... لم تكن كذلك، بل منحت إسرائيل مسوّغاً لإطفاء المشروع الإيراني «المقاوم»، هذا المشروع الذي تأخّر عن نصرة غزّة عاماً، وظلّت جبهاته المتعدّدة تناور وتخطّط الردود، حتّى لا تندلق عليها مياه الحرب الساخنة، وعندما وجد بنيامين نتنياهو أنّ الوقت بات مناسباً بدأ ينفرد بها واحدةً تلو الأخرى، فكان حزب الله، ومن بعده الحوثيين والمليشيات العراقية، وصولاً إلى الرأس الأغلى في حربه هذه؛ طهران، طهران التي ما كان لها أن تردّ على الاستفزازات الإسرائيلية لولا تلك النصيحة التي قدمت إليهم من كبار مخطّطي استراتيجية النظام: «إذا لم تذهبوا إلى الحرب الآن فستأتي إليكم».

نسير نحو خريطة شرق أوسط جديد، شرق أوسط لا وجود فيه لبندقية تقاوم، أو حتّى تساوم، هكذا ببساطة يرى نتنياهو ومن خلفه حلفاءُ كُثُرٌ، المنطقة. فهل ستنجح هذه الخطّة؟ ... من المُبكّر الحديث عن نجاحها الآن، خاصّةً أنّ مهمّة القضاء على «حماس» التي بدأت قبل عام لم تنجح.

(إعلامي عراقي في الدوحة)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات لياك حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads